

تفسير البحر المحيط

@ 102 @ لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في أن أفعل التفضيل ينتصب المفعول به ،
فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به ، وإنما تأويله بضرب القوانس قول البصريين
، ولذلك ذهب بعض النحويين إلى أن قوله { أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ } من منصوبة بأعلم نصب
المفعول به ، ولو كثر وجود مثل . .
واضرب منا بالسيوف القوانسا .

لكننا نقيسه ويكون معناه صحيحاً لأن أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين
، ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ، ولما ذكر قوله ليعلم
مشعراً باختلاف في أمرهم عقب بأنه تعالى هو الذي يقص شيئاً فشيئاً على رسوله صلى الله
عليه وسلم) خبرهم { بِإِلْحَاقٍ } أي على وجه الصدق ، وجاء لفظ { نَحْنُ نَقُصُّ }
موازياً لقوله لنعلم . .

ثم قال { بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ } ففيه إضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة
عبيده ، ولم يأت التركيب { ءَامَدُوا } بناء للأشعار بتلك الرتبة وهي أنهم مربوبون له
مملوكون . ثم قال : { وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } ولم يأت التركيب وزادهم لما في لفظة نا من
العظمة والجلال ، وزيادته تعالى لهم { هُدًى } هو تيسيرهم للعمل الصالح والإنقطاع إليه
ومباعدة الناس والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة في الإيمان الذي حصل لهم . وفي التحرير {
زِدْنَاهُمْ } ثمرات { هُدًى } أو يقيناً قولان ، وما حصلت به الزيادة امثال المأمور
وترك المنهي ، أو إنطاق الكلب لهم بأنه هو على ما هم عليه من الإيمان ، أو إنزال ملك
عليهم بالتبشير والتثبیت وإخبارهم بظهور نبي من العرب يكون الدين به كله □ فآمنوا به
قبل بعثه أقوال ملخصة من التحرير . .

{ وَرَبِّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } ثبتناها وقويناها على الصبر على هجرة الوطن
والنعيم والفرار بالدين إلى غار في مكان قفر لا أنيس به ولا ماء ولا طعام ، ولما كان
الفرع وخوف النفس يشبه بالتناسب الإنحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن تشبه الربط
، ومنه فلان رابط الجأش إذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفرع والحرب . وقال تعالى : { إِنْ
كَادَتْ لَتَتَّبِعْدِي بِهِمْ لَوْ لَا أَنْ رَّبِّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } والعامل في { أَنْ
رَّبِّطْنَا } أي ربطنا حين { قَامُوا } ، ويحتمل القيام أن يكون مقامهم بين يدي
الملك الكافر دقيانوس ، فإنه مقام محتاج إلى الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخلعوا
دينه ورفضوا في ذات □ هيئته ، ويحتمل أن يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب

إلى ا [] ومنا بذة الناس كما يقال : قام فلان إلى كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد . .
وقال الكرمانى : { قَامُواْ } على أرجلهم . وقيل : { قَامُواْ } يدعون الناس سرّاً .
وقال عطاء { قَامُواْ } عند قيامهم من النوم قالوا وقيل : { قَامُواْ } على إيمانهم .
وقال صاحب الغنيان : { إِذْ قَامُواْ } بين يديّ الملك فتحرّكت هرة . وقيل : فأرة ففرع
دقيانوس فنظر بعضهم إلى بعض فلم يتمالكوا أن قالوا { رَبُّنَا رَبُّ * السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ } وكان قومهم عباد أصنام ، وما أحسن ما وحدوا ا [] بأن ربهم هو موجد السموات
والأرض المتصرّف فيها على ما يشاء ، ثم أكدوا هذا التوحيد بالبراءة من إله غيره بلفظ
النفى المستغرق تأييد الزمان على قول . واللام في { لَقَدْ } لام توكيد و { إِذَا } حرف
جواب وجزاء ، أي { لَقَدْ قُلْنَا } لن ندعو من دونه إلهاً قولاً { شَطَطاً } أي ذا
شطط وهو التعدي والجور ، فشططاً نعت لمصدر محذوف إما على الحذف كما قدرناه ، وإما على
الوصف به على جهة المبالغة . وقيل : مفعول به بقلنا . وقال قتادة : { شَطَطاً } كذباً
. وقال أبو زيد : خطأً . .

{ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّذَنَّبُونَ } مِنَ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْ لَا يَأْتُونََ عَلَيْهِمْ
بِرِسَالَتَانِ يَتَذَكَّرْنَ فَمِنْهُنَّ أَطْلَمٌ مِّمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَإِذَا {
. .

ولما وحدوا ا [] تعالى ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وأنهم لا
حجة لهم في عبادة غير ا [] ، ثم عظموا جرم من افترى على ا [] كذباً وهذه المقالة يحتمل أن
قالوها في مقامهم بين يديّ الملك تقبيحاً لما هو وقومهم عليه وذلك أبلغ في التبرّي من
عبادة الأصنام ، وأفتّ في عضد الملك إذا اجتروا عليه بدم ما هو عليه ، ويحتمل أن قالوا
ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه و { هَؤُلَاءِ } مبتدأ . .

و { قَوْمٌ مُّذَنَّبُونَ } قال الحوفي : خبر و { اتَّخَذُواْ } في موضع الحال . وقال الزمخشري
: وتبعه أبو البقاء : { قَوْمٌ مُّذَنَّبُونَ } عطف بيان و { اتَّخَذُواْ } في موضع الخبر .
والضمير في { مِنْ دُونِهِ } عائد على ا []